**ابن سعود: النشأة واسترداد الرياض**

الملك عبد العزيز هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود. ولد في الرياض سنة 1293هـ تقريباً، ونشأ نشأة أبناء الأسر الحاكمة؛ فتعلم العلوم الأساسية كمبادئ الدين والقراءة والكتابة والحساب، وتأدب بآداب الأمراء، وتدرب على المهارات التي لا بد لأمثاله أن يتقنوها كالرماية وركوب الخيل وأساليب القتال. ولكونه بلغ سن الإدراك في مرحلة كانت فيها الدولة السعودية الثانية تعيش أيامها الأخيرة، ولأنه قد شاهد آثار الفرقة بين أفراد أسرته، فقد تبلورت لديه شخصية القيادة. ولعل أول مشاركة له في الحياة السياسية كانت حين خرج مع عمه محمد عام 1308هـ لمفاوضة الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد الذي كان محاصراً للرياض، ولا شك أن مثل هذه التجربة سيكون لها أكبر الأثر في رصيد تجاربه السياسية. كما أن الملك عبد العزيز استفاد كثيراً خلال مدة إقامة أسرته في الكويت، حيث كان يحضر مع والده مجالس الشيخ مبارك الصباح، ويسمع الكثير عن سياسة بريطانيا والدولة العثمانية، مما رفع من وعيه السياسي. ولا شك أن أهم عمل عسكري قام به هو قيادته لفرقة عسكرية انفصلت عن جيش مبارك بن صباح الذي كان متوجهاً لمواجهة عبد العزيز بن متعب آل رشيد في الصريف سنة 1318هـ، حيث نجحت هذه الفرقة في دخول الرياض رغم عدم مقدرتها على دخول قصر المصمك الذي تحصنت به حامية ابن رشيد.

وفي السنة التالية اقترب ابن رشيد من الكويت وكان يتحين الفرص للانقضاض عليها، فشجع مبارك بن صباح الأمير عبد العزيز ليقوم بنشاط عسكري في نجد مؤملاً بأن ينشغل عنه ابن رشيد. وبالفعل، جهز مبارك عبد العزيز بالركائب والأسلحة، فخرج عبد العزيز ومعه مجموعة صغيرة قوامها قرابة الستين رجلاً. توجه في البداية إلى بادية الأحساء، حيث انضمت إليه مجموعة من قبائل العجمان وسبيع والسهول وآل مرة، فبلغ مجموع جيشه قرابة الألف مقاتل. ومن الأحساء بدأ عبد العزيز بشن هجماته على القبائل الموالية لابن رشيد. فلما علم به ابن رشيد، تواصل مع العثمانيين مباشرة، ولكون الأحساء تحت يد العثمانيين، فقد وصلت التعليمات إلى بلدات وأهالي الأحساء بمنع مساعدة ابن سعود وعدم بيع الأطعمة والمؤن عليه. ولذلك اتجه ابن سعود جنوباً إلى منطقة يبرين الواقعة على حدود الربع الخالي ليكون بعيداً عن مناطق نفوذ ابن رشيد والعثمانيين. وكان أتباعه من البادية قد انسحبوا عنه لما رأوا موقف العثمانيين منه، خاصةً وأنه قد عزم على التوجه إلى يبرين التي تقع في مكان صحراوي لا يناسب جيشاً كبيراً يحتاج إلى تموين مستمر.

وفي شهر رمضان تحرك ابن سعود سريعاً من يبرين متوجهاً إلى الرياض، وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار لئلا تلحظه العيون. وفي ليلة الخامس من شوال وصل ابن سعود إلى الرياض، فقسم رفاقه إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى وهي الأكثر تبقى عند الركائب خارج المدينة، ولما وصل هو ومن معه منطقة المزارع المحيطة بالرياض ترك المجموعة الثانية هناك تحت إمرة أخيه محمد، أما المجموعة الثالثة فكان عددها سبعة فقط وكانت تحت قيادته. كان هدفه من المغامرة بهذا العدد القليل هو أن يتسلل إلى داخل بيوت الرياض دون أن يشعر بهم أحد، وهذا الأمر لا يمكن أن ينجح لو كان العدد كبيراً. ولكون سور الرياض قد هدم في عهد محمد بن عبد الله بن رشيد، فقد تمكن عبد العزيز ومن معه من التسلل داخل أحياء المدينة حتى تسلقوا إلى بيت عجلان -أمير الرياض من قبل ابن رشيد-، ولكنهم لم يجدوه. فقبضوا على امرأته وأخبرتهم بأنه يخاف أن ينام في البيت، فيذهب في كل ليلة وينام مع الحامية داخل قصر المصمك ولا يعود إلى البيت إلا حين يطلع الصبح. ولما كان بيت عجلان مجاوراً للقصر فقد تخفى ابن سعود ومن معه فيه، وأرسل عبد العزيز إلى أخيه محمد، فجاء بمجموعته وبات الجميع في البيت.

ولما طلع الصبح، خرج عجلان من القصر كعادته، فانقض عليه عبد العزيز ومن معه، فعاد عجلان مسرعاً إلى القصر ولكن المهاجمون تمكنوا من الوصول إلى البوابة قبل أن تغلق، فاقتحموا القصر. حدث قتال بين الطرفين انتهى بمقتل عجلان على يد عبد الله بن جلوي، وقتل عدد من أتباعه أيضاً، واستسلم البقية. ثم نودي في الرياض: الحكم لله ثم لعبد العزيز.

ولعلم ابن سعود ببسالة عدوه فلم يضع أي وقت، بل إنه شرع بتحصين البلدة مباشرة. وخلال خمسة أسابيع فقط كان سور الرياض قد بني مجدداً. كما أرسل سريعاً إلى والده وإلى الشيخ مبارك يطلب نجدة سريعة. وبالفعل، وتوجه أخوه سعد بفرقة عسكرية من الكويت إلى الرياض.

**المراجع:**

عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج2، ص45-55.